

حكاية بهلول

كامل كيلاني



حكاية بهلول

تأليف
كامل كيلاني



الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: حنان بغدادي، تصميم الغلاف: سيلفيا فوزي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠٥٠٢ ١

صدر هذا الكتاب في تاريخ غير معروف.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٣.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧

١٥

١- الْوَقْتُ

٢- «سَمِيرَةٌ» وَالْعَنْبُ

الفصل الأول

الوقت

قَالَتِ الطَّيْرُ: «لَقَدْ حَلَّ الشِّتَاءُ
فَوَدَاعًا، أَيُّهَا الْغُصْنُ، وَدَاعًا
قَالَتِ الْأَوْرَاقُ، لِلْغُصْنِ: «وداعًا
سَوْفَ أَلْقَاكَ، إِذَا مَا الطَّيْرُ عَادَتْ
ثُمَّ قَالَ الْوَقْتُ لِلنَّاسِ: «وداعًا
تَرْجِعُ الْأَوْرَاقُ وَالطَّيْرُ جَمِيعًا
حَلَّ^١ فَصْلُ الْبَرْدِ، وَاشْتَدَّ الصَّقِيعُ!^٢
سَوْفَ أَلْقَاكَ، إِذَا عَادَ الرَّبِيعُ.
أَيُّهَا الْغُصْنُ، فَقَدْ جَاءَ الشِّتَاءُ
فِي الرَّبِيعِ الطَّلَقُ^٣ تَشْدُو^٤ بِالْغِنَاءِ.
إِنِّي أَنَفَسُ^٥ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ
وَأَنَا، مِنْ حَيْثُ أَمْضِي، لَا أَعُودُ!^٦

(١) نَزْهَةٌ «الْجُمُعَةُ»

الزَّمَنُ: فَصْلُ الرَّبِيعِ الْبَدِيعِ، وَهُوَ أَطْيَبُ فُصُولِ السَّنَةِ.
الْوَقْتُ: بَعْدَ الْعَصْرِ، وَقُرْصُ الشَّمْسِ يَمِيلُ إِلَى الْغُرُوبِ.
«بُهْلُولُ» فَتَى نَشِيطٌ فِي الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ مِنْ عُمرِهِ.
فَكَرَّ فِي أَنْ يَقْضِيَ بَعْضَ الْوَقْتِ، فِي خَارِجِ الْمَنْزِلِ ...
ارْتَدَى مَلَابِسَ الْخُرُوجِ، وَاتَّجَهَ إِلَى الْوَلَدَةِ «إِقْبَالُ»، يَقُولُ: «سَأَذْهَبُ إِلَى الْقَرْيَةِ الْقَرِيبَةِ
عَلَى شَطِّ النَّهْرِ، لِلتَّنَزُّهِ.»

قَالَتْ لَهُ: «لَمْ تَسْتَأْذِنْ مِنِّي، قَبْلَ ارْتِدَائِ مَلَابِسِكَ!».
«بُهْلُولُ» اسْتَرْضَى الْوَلَدَةَ، وَقَدَّمَ اعْتِدَارَهُ عَمَّا فَعَلَ.
«إِقْبَالُ» قَالَتْ لَهُ: «أَيَّ كِتَابٍ تَحْمِلُهُ فِي يَدِكَ؟».

أجابها: «كِتَابُ الْمُطَالَعَةِ»، أَقْرَأُ فِي صَفَحَاتِهِ، وَأَنَا أَتَنَزَّهُ.
أَذِنْتُ لَهُ وَالِدَتُهُ فِي الْخُرُوجِ، وَأَصْلَحْتُ هِنْدَامَهُ، وَقَالَتْ: «إِحْتَرَسْ، يَا بُنَيَّ، وَأَنْتَ عَلَى
الطَّرِيقِ، لِتَأْمَنَ الْمُخَاطِرَ. لَا تَتَأَخَّرْ فِي الْعُودَةِ إِلَى الْمَنْزِلِ، بَعْدَ قَضَاءِ النُّزْهَةِ.»

(٢) «بُهْلُولُ» مَعَ نَفْسِهِ

«بُهْلُولُ» خَرَجَ مِنَ الْمَنْزِلِ، وَفِي يَدِهِ «كِتَابُ الْمُطَالَعَةِ».
لَمَّا خَرَجَ إِلَى الشَّارِعِ، اشْتَغَلَ بِالتَّحَدُّثِ مَعَ نَفْسِهِ.
أَعْمَلَ فِكْرَهُ فِيمَا قَالَتْهُ لَهُ وَالِدَتُهُ، قَبْلَ أَنْ يَخْرُجَ، صَوْنُهَا، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ، مَا بَرَحَ
يَرِنُ فِي أُذُنَيْهِ.

إِنَّهَا، فِي كُلِّ مَرَّةٍ، تَرْفَعُ إِصْبَعَهَا، وَتُكْرِّرُ تَحْذِيرَهَا لَهُ.
لَقَدْ أَصْبَحَ يَنْتَظِرُ هَذَا مِنْهَا، كُلَّمَا أَرَادَ الْخُرُوجَ! ...
وَالِدَتُهُ مَا زَالَتْ تُعَامِلُهُ عَلَى أَنَّهُ طِفْلٌ، يَحْتَاجُ إِلَى الرِّعَايَةِ! ...
إِنَّهُ يُحِبُّهَا كُلَّ الْحُبِّ، وَيَحْتَرِمُ أَوَامِرَهَا كُلَّ الإِحْتِرَامِ.
هُوَ لَا يَشْكُ فِي أَنَّهَا تَرْعَى مَصْلَحَتَهُ، وَتَبْغِي لَهُ الْخَيْرَ.
لَكِنَّهَا تَنْسَى، بِرَغْمِ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ جَاوَزَ مَرَحَلَةَ الطُّفُولَةِ! ...
لَمْ يَعُدْ صَبِيًّا صَغِيرًا، يَجْهَلُ: مَاذَا يَنْفَعُهُ، وَمَاذَا يَضُرُّهُ؟
لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى التَّحْذِيرِ، كَمَا كَانَ وَهُوَ فِي نَشْأَتِهِ.
صَارَ يَتَضَايِقُ كُلَّمَا صَكَ سَمْعُهُ قَوْلَهَا: (إِحْذَرْ ... إِحْتَرَسْ).
يَحْسُنُ الْآنَ بِوَالِدَتِهِ، أَنَّ تَطْمَئِنَّ إِلَى سَلَامَةِ تَصَرُّفَاتِهِ.

(٣) عَادَةُ السَّهْوِ

«بُهْلُولُ» لَمْ يَنْتَهَ — خِلَالَ الطَّرِيقِ — مِنْ حَدِيثِهِ مَعَ نَفْسِهِ! ...
لَا شَكَّ فِي أَنَّ وَالِدَتَهُ تُوَالِي تَحْذِيرَهُ، لِسَبَبٍ مُهِمٍّ! ...
لَا حَظَّ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ كَانَ يَسْهُو فِي أَحْيَانٍ كَثِيرَةٍ! ...
كَادَ سَهْوُهُ، يُصِحِّحُ — مَعَ الْإِيَّامِ — عَادَةً مُلَازِمَةً لَهُ! ...

كُلَّمَا سَهَا عَنْ شَيْءٍ، أَخَذَ يَلُومُ نَفْسَهُ أَشَدَّ اللَّوْمِ.
 كَانَ شَدِيدَ الْحَرِصِ عَلَى أَلَّا يَتَكَرَّرَ مِنْهُ ذَلِكَ السَّهْوُ.
 وَقَعَتْ مِنْهُ أَخْطَاءٌ كَثِيرَةٌ، سَبَبَتْ لَهُ مَتَاعِبٌ مُتَلَحِّقَةٌ.
 الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنَّ نَتَائِجَ هَذِهِ الْأَخْطَاءِ لَمْ تَكُنْ خَطِيرَةً.
 لَكِنَّ الْمَثَلَ الْمَعْرُوفَ يَقُولُ: «مَا كُلُّ مَرَّةٍ، تَسْلُمُ الْجَرَّةُ»!
 يَجِبُ عَلَيْهِ دَائِمًا أَنْ يُعَالِجَ — فِي نَفْسِهِ — عَادَةَ السَّهْوِ.
 سَيَحْرِصُ كُلُّ الْحَرِصِ عَلَى أَلَّا تَجِدَهُ وَالِدَتُهُ سَاهِيًا، بَعْدَ الْآنَ.
 سَتَكْفُفُ — حَتْمًا — عَنْ تَكَرُّارِ تَحْذِيرِهَا لَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.
 سَتُدْرِكُ أَنَّهُ جَاوَزَ الطُّفُولَةَ، وَصَارَ يُحَسِّنُ تَقْدِيرَ الْأُمُورِ.
 سَتَعْرِفُ — حِينَئِذٍ — أَنَّهُ يَسْتَحِقُّ مِنْهَا أَنْ تَتَّقَ بِسُلُوكِهِ.

(٤) جَمَالُ الطَّبِيعَةِ

«بُهْلُولُ» مَاشٍ فِي الشَّارِعِ، مُتَّجِهٌ إِلَى مَكَانِ الْقَرْيَةِ ...
 الشَّارِعُ — أَمَامَهُ — وَاسِعٌ هَادِيٌّ، وَالْحَرَكَةُ فِيهِ مُنْتَظِمَةٌ حَسَنَةٌ.
 النَّاسُ يَغْدُونَ وَيَرْوَحُونَ، يَتَجَلَّى عَلَى وُجُوهِهِمْ بَشَرٌ وَإِينٌ.
 مُرُورُ النَّسِيمِ حَوَالِيهِ لَطِيفٌ مُنْعَشٍ، تَطْيِبُ مِنْهُ الْأَنْفَاسُ!
 السَّمَاءُ — فَوْقَهُ — تَبْدُو لَهُ فِي مَنَاظِرَ غَايَةِ فِي الْجَمَالِ.
 الْقَضَاءُ تَنْتَشِرُ فِيهِ السُّحُبُ الْمُتَنَائِرَةُ، زَاهِيَةُ النُّقُوشِ.
 الشَّفَقُ الْأَحْمَرُ يَنْقُضُ عَلَى السُّحُبِ الْمُتَوَالِيَةِ صَبْغَتَهُ الْبَهِيَّةَ.
 قُرْصُ الشَّمْسِ يَنْحَدِرُ — بِنُورِهِ الْوَرْدِيِّ — إِلَى جِهَةِ الْغُرُوبِ.
 «بُهْلُولُ» جَعَلَ يُنْقَلُ خُطَاهُ فِي الشَّارِعِ الْفَسِيحِ، عَلَى مَهْلِهِ.
 لَا يَمَلُّ أَنْ يَبْعَثَ بِنَظَرَاتِهِ الشَّيْئَةَ الْمُسْتَمْتَعَةَ، هُنَا وَهُنَا.
 لَمْ يَشْعُرْ بِطُولِ الطَّرِيقِ، لِاسْتِمْتَاعِهِ بِهِ، أَثْنَاءَ الْمُضِيِّ فِيهِ.
 شَغَفَتْ قَلْبَهُ الْمَنَاظِرُ الْمُلَوَّنَةُ، وَهُوَ يَتَطَّلَعُ بِعَيْنَيْهِ إِلَى الْأَفْقِ!
 كَأَنَّهُ شَدِيدُ الْعَطَشِ، يُرْوِي — بِنَظَرَاتِهِ — ظَمَأَهُ إِلَى الْمَاءِ!
 هَذَا الْوَقْتُ، فِي أَثْنَاءِ فَصْلِ الرَّبِيعِ، وَقْتُ بِهِيِّ بَدِيعٍ!

(٥) عَثْرَةُ أَلِيْمَةٍ

«بُهْلُولُ» شَغَلَتْهُ مَفَاتِنُ الطَّبِيعَةِ الَّتِي يَتَمَتَّعُ بِرُؤْيَيْهَا.
أَخَذَ يَتَهَادَى فِي سَيْرِهِ؛ لِيَتَأَمَّلَ فِيْمَا تَشْهَدُهُ عَيْنَاهُ: كَانَتْ الْأَرْضُ، تَحْتَ قَدَمَيْهِ،
مَرْشُوشَةً بِالْمَاءِ، فِيْهَا زَلَقٌ.
الْمَاءُ الْمُرْشُوشُ، تَجَمَّعَتْ مِنْهُ دَفَقَاتٌ فِي جَانِبِ الطَّرِيقِ.
جَاءَ كَلْبٌ مِنَ الْكِلَابِ الشَّارِدَةِ، وَوَقَفَ عِنْدَ الْمَاءِ يُشْرَبُ.
قَدُمُ «بُهْلُولِ» عَثَرَتْ، وَهِيَ فِي خُطَوَاتِهَا، بِذَيْلِ الْكَلْبِ الشَّارِدِ.
نَظَرَهُ لَمْ يَنْتَبِهْ لِمَكَانِ الْكَلْبِ الْمُتَنَهِّمِ فِي الشَّرْبِ.
عَوَى الْكَلْبُ، يَتَوَجَّعُ مِمَّا أَصَابَهُ مِنْ أَثَرِ الدَّوْسِ عَلَى ذَيْلِهِ.
إِغْتَاظَ الْكَلْبُ مِنْ «بُهْلُولِ» ... هَمَّ بِأَنْ يَغْتَدِي عَلَيْهِ.
«بُهْلُولُ» اضْطَرَبَ، وَتَرَنَّحَ جِسْمُهُ، وَكَادَ يَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ!
رَأَهُ بَعْضُ النَّاسِ فِي وَرْطَتِهِ، فَأَسْرَعُوا إِلَيْهِ؛ لِكَيْ يُسَاعِدُوهُ.
إِسْتَطَاعُوا — بِجَمْعِهِمْ — أَنْ يَرْجُرُوا ذَلِكَ الْكَلْبَ، وَأَنْ يُبْعِدُوهُ.
مَا زَالُوا بِجَانِبِ «بُهْلُولِ»، حَتَّى أَذْهَبُوا قَلْقَهُ، وَطَمَأَنُوهُ.
«بُهْلُولُ» حَمِدَ اللَّهَ عَلَى النِّجَاةِ، وَشَكَرَ مَنْ أَنْقَذُوهُ.

(٦) فِي الْقَرْيَةِ الْقَرِيبَةِ

«بُهْلُولُ» وَاصَلَ سَيْرَهُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَرْيَةِ الْقَرِيبَةِ.
مَضَى يَتَسَلَّى بِرُؤْيَا الْأَشْجَارِ وَالنَّخِيلِ، فِي أَرْجَاءِ الْقَرْيَةِ.
الْعَصَافِيرُ الْمَرِحَةُ تَحْلُقُ هُنَا وَهُنَاكَ، وَتَرْقُرُقُ بِأَصْوَاتِهَا اللَّطَافِ.
كَانَتْ تَنْبِطُ بَيْنَ الْأَغْصَانِ الْمُتَعَدِّدَةِ، مِنْ غُصْنٍ إِلَى غُصْنٍ.
الْعَصَافِيرُ تَبَحُّثٌ عَنْ أَمْكَنَةٍ لَهَا، عَلَى رُءُوسِ الشَّجَرِ.
كُلُّ عُصْفُورٍ مِنْهَا يَطْلُبُ مَكَانًا يُؤْوِيهِ، لِيَبِيتَ فِيهِ.
الْعَصَافِيرُ تُرِيدُ أَنْ تَجِدَ مَا وَاهَا الْأَمِينُ، قَبْلَ حُلُولِ الظَّلَامِ.
بَعْدَ قَلِيلٍ، فَتَحَ «بُهْلُولُ» «كِتَابَ الْمُطَالَعَةِ»؛ لِيَقْرَأَ فِيهِ.

أَعْجَبَهُ مَوْضُوعٌ، فَاسْتَغْرَقَ فِي قِرَاءَتِهِ، وَالتَّأَمَّلِ فِي صُورِهِ.
 انْصَرَفَ، بِكُلِّ فِكْرِهِ وَاهْتِمَامِهِ، عَنْ مِلَاحَظَةِ الطَّرِيقِ أَمَامَهُ.
 كَانَ أحيانًا يَصْطَدِّمُ — وَهُوَ يَقْرَأُ — بِبَعْضِ السَّائِرِينَ، فَيَعْتَذِرُ لَهُمْ.
 مَرَّةً، اضْطَرَبَتْ قَدَمَاهُ، فَكَادَ يَنْزَلِقُ، وَسَقَطَ الْكِتَابُ مِنْ يَدِهِ!
 طَابَ لَهُ أَنْ تَكُونَ قِرَاءَتُهُ لِلْمَوْضُوعِ الْمُخْتَارِ، وَهُوَ سَائِرُ! ...
 فَكَّرَ فِي الْبَحْثِ عَنْ طَرِيقَةٍ مُبْتَكِرَةٍ، تَجْعَلُهُ يَخْلُو بِالْكِتَابِ.

(٧) عَلَى سُورِ الشُّطِّ

«بُهْلُولُ» أَبْصَرَ بَعْضَ الْفَتَيَانِ، يَمْشُونَ عَلَى سُورِ الشُّطِّ.
 قَالَ فِي نَفْسِهِ: «هَذِهِ أَحْسَنُ طَرِيقَةٍ، تَحْمِي مِنَ التَّصَادِمِ.
 الْفَتَيَانُ يَسِيرُونَ بِجَانِبِي إِلَى الْأَمَامِ، وَاحِدًا وَرَاءَ وَاحِدٍ.»
 صَعِدَ إِلَى سُورِ الشُّطِّ فِي حَذَرٍ، وَجَعَلَ يَمْشِي عَلَيْهِ.
 مَضَى فِي قِرَاءَةِ الْمَوْضُوعِ الْمُخْتَارِ، وَعَيْنُهُ عَلَى الْكِتَابِ.
 لَمْ يَبْقَ فِي فِكْرِهِ انْتِبَاهٌ إِلَى شَيْءٍ، غَيْرِ الْقِرَاءَةِ!
 انْحَرَفَتْ قَدَمُهُ دُونَ شُعُورٍ، إِلَى حَرْفِ السُّورِ، وَهُوَ سَهْوَانُ!
 لَمَّا انْحَرَفَ، اخْتَلَّ تَوَازُنُهُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ!
 سَقَطَ مِنَ السُّورِ، قَرِيبًا مِنَ الْمَاءِ الْمُتَدَفِّقِ، عِنْدَ الشُّطِّ!
 اشْتَدَّ بِهِ الْقَلَقُ وَالْخَوْفُ مِنْ أَنْ يَجْرِفَهُ مَوْجُ النَّهْرِ! ...
 مِنْ لُطْفِ اللَّهِ وَرِعَايَتِهِ: أَنَّ مَوْجَ النَّهْرِ كَانَ هَادِتًا.
 شَعَرَ بِالْأَلَمِ شَدِيدٍ، يَشْمَلُ كُلَّ جِسْمِهِ، عَلَى أَثَرِ سُقُوطِهِ.
 مِنْ حُسْنِ حَظٍّ «بُهْلُولُ»: أَنَّ كَانَ سُقُوطُهُ عَلَى الْمَاءِ!
 لَوْ أَنَّهُ سَقَطَ عَلَى حَجَرٍ، لَكَانَتِ النَّتِيجَةُ تَهْشِيمَ عِظَامِهِ!

(٨) فَتَى هُمَامٌ

«بُهْلُولُ» لَبِثَ فِي الْمَاءِ لَحَظَاتٍ، يُحَاوِلُ إِنْقَاذَ نَفْسِهِ.
كَانَ الظَّلَامُ قَدْ بَدَأَ يَنْتَشِرُ، وَيُعْطِي فُضَاءَ الْقَرْيَةِ.
كَانَ أَهْلُ الْقَرْيَةِ الْقَرِيبَةِ قَدْ أَخَذُوا يَعُودُونَ إِلَى الْبُيُوتِ.
فَتَى هُمَامٌ كَانَ — فِي هَذَا الْوَقْتِ — يَسِيرُ بِجَانِبِ السُّورِ.
الْفَتَى الْهُمَامُ أَحَسَّ بِحَرَكَةٍ مُفَاجِئَةٍ حَوْلَيْهِ، فَتَوَقَّفَ عَنِ السَّيْرِ.
حَانَتْ مِنْهُ نَظْرَةٌ إِلَى «بُهْلُولِ»، وَرَاءَ سُورِ الشَّطِّ ...
لَاخِظَ أَنَّهُ لَيْسَ مُتَمَالِكًا حَالَتَهُ الطَّبِيعِيَّةَ الْعَادِيَّةَ!
لَقَدْ وَجَدَهُ عَلَى الْمَاءِ عِنْدَ الشَّطِّ، لَا يُمَارِسُ السَّبَاحَةَ.
قَالَ لِنَفْسِهِ: «لَا بُدَّ أَنَّ هَذَا الْفَتَى قَدْ حَدَثَ لَهُ شَيْءٌ!».
لَمْ تُطَاوِعْهُ هِمَّتُهُ وَمُرُوءَتُهُ أَنْ يُهْمَلَ أَمْرُهُ، وَلَا يُبَالِيَ بِهِ!
قَرَّرَ عَلَى الْفَوْرِ، أَنْ يَقْفِزَ مِنْ فَوْقِ السُّورِ إِلَى شَطِّ النَّهْرِ.
فِي لَحَظَاتٍ خَاطِفَةٍ، صَارَ الْفَتَى إِلَى جَانِبِ «بُهْلُولِ».
مَالَ عَلَيْهِ الْفَتَى، يَتَعَرَّفُ مَا بِهِ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ.
«بُهْلُولُ» اسْتَغَاثَ بِالْفَتَى الْهُمَامِ، حَاكِيًا مَا جَرَى لَهُ.

(٩) مُصَاحَبَةُ «بُهْلُولِ»

الْفَتَى الْهُمَامُ لَمْ يَقْصُرْ فِي مُسَاعَدَةِ «بُهْلُولِ»، فِي مُحْنَتِهِ.
إِشْتَرَكَ مَعَهُ فِي نَفْضِ الْمَاءِ الْغَزِيرِ عَنْ ثِيَابِهِ الْمُبْتَلَّةِ.
تَبَيَّنَ لَهُ، بَعْدَ ذَلِكَ، أَنَّهُ أَصْبَحَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَسِيرَ.
سَانَدَهُ فِي الْقِيَامِ، وَصَاحَبَهُ فِي الْخُرُوجِ مِنَ الْقَرْيَةِ.
أَصَرَ عَلَى أَنْ يُلَازِمَهُ، فِي طَرِيقِهِ، حَتَّى يَصِلَ إِلَى بَيْتِهِ.
بَيْنَمَا كَانَ الْفَتَيَانِ يَسِيرَانِ، جَنَبًا إِلَى جَنْبٍ، جَعَلَا يَتَحَدَّثَانِ.
قَالَ الْفَتَى لِصَاحِبِهِ «بُهْلُولِ»، وَهُوَ يَبْتَسِمُ لَهُ وَيُؤَانِسُهُ: «لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، بِأَنْ تَبَارَ
النَّهْرَ لَمْ يَجْرِفَكَ!»
«بُهْلُولُ» قَالَ: «هَذَا مَا كُنْتُ أَخشى أَنْ يَحْدُثَ لِي!»

الْفَتَى الْهُمَامُ قَالَ: «أَلَمْ تَكُنْ تَهْوَى رِيَاضَةَ السَّبَاحَةِ؟»
 «بُهْلُولُ» قَالَ: «سَابِدًا مُمَارَسَتَهَا فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ».
 وَصَلَ «بُهْلُولُ»، فِي صُحْبَةِ الْفَتَى الْهُمَامِ، إِلَى الْبَيْتِ.
 دَعَا رَفِيقَهُ الْمِعْوَانَ إِلَى أَنْ يَصْعَدَ مَعَهُ ... فَأَعْتَدَ إِلَيْهِ.
 صَافِحَهُ، مُودِّعًا إِيَّاهُ فِي حَرَارَةٍ، شَاكِرًا لَهُ فَضْلَهُ وَمَعْرُوفَهُ.

(١٠) حَدِيثُ «إِقْبَالِ»

«بُهْلُولُ» صَعِدَ إِلَى مَسْكَنِهِ، وَهُوَ يَفْكُرُ فِيمَا أَصَابَهُ.
 بَالَهُ مَشْغُولٌ بِمَا سَيَقُولُهُ لَوَالِدَتِهِ، حِينَ تَلْقَاهُ، وَتَرَى حَالَهُ: هَلْ يَكْتُمُ عَنْهَا الْخَبَرَ
 كُلَّهُ، لَا يَقُولُ لَهَا شَيْئًا مِنْهُ؟!
 إِنَّهَا سَتُلَاحِظُ حَالَ ثِيَابِهِ، وَمَا لَحِقَ بِهَا مِنَ الْبَلَالِ! ...
 هَلْ يَخْكِي لَهَا بَعْضُ مَا حَدَثَ لَهُ، دُونَ بَعْضٍ؟!
 «بُهْلُولُ» يَخْشَى أَنْ يُزْعَجَ وَالِدَتُهُ؛ إِذَا أَبَانَ لَهَا الْحَقِيقَةَ.
 «إِقْبَالُ» رَأَتْهُ، وَهُوَ يَسْتَبْدِلُ بِثِيَابِهِ، فَأَدْرَكَتْ تَغْيِيرَ حَالِهِ.
 قَالَتْ لَهُ: «عُدْتَ مُتَأَخِّرًا عَنْ مَوْعِدِ عَوْدَتِكَ! مَاذَا جَرَى لَكَ؟
 قُصِّ عَلَيَّ الْحَقِيقَةَ كَامِلَةً ... لَا تَخَفِ عَنِّي شَيْئًا مِنْهَا!»
 «بُهْلُولُ» أَخْبَرَ وَالِدَتَهُ، فِي صَرَاخَةٍ، بِتَفْصِيلِ مَا حَدَثَ لَهُ.
 قَالَتْ لَهُ وَالِدَتُهُ: «يَحْدُثُ لَكَ كُلُّ هَذَا، بَعْدَ تَحْذِيرِي إِيَّاكَ?!»
 قَالَ لَوَالِدَتِهِ: «سَتَجِدِينَنِي، بَعْدَ الْيَوْمِ، أَعْمَلُ بِكُلِّ نَصَائِحِكَ».
 «إِقْبَالُ» جَعَلَتْ تَقْلُبُ نَاطِرِيهَا فِيهِ، يَمَنَّةً وَيَسْرَةً، فِي إِشْفَاقٍ!
 رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ، تَشْكُرُ لَهُ اللَّهَ، إِذْ أَنْجَاهُ! ...

(١١) حَدِيثُ «فَطِينِ»

بَعْدَ الْعِشَاءِ، عَادَ «فَطِينُ» وَالِدُ «بُهْلُولِ» إِلَى الْبَيْتِ.
 لَمَّا خَلَعَ ثِيَابَ الْخُرُوجِ، أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ «إِقْبَالُ».
 أَخْبَرَتْهُ بِمَا حَدَثَ لَوَلَدَيْهَا «بُهْلُولِ»، فِي أَثْنَاءِ نَزْهَتِهِ.

حكاية بهلول

الْفَتَى قَدَّرَ أَنَّ وَالِدَهُ سَوْفَ يَقِفُ عَلَى حِكَايَتِهِ.
ظَلَّ مُتَرَقِّبًا أَنْ يَدْعُوهُ وَالِدُهُ، لَكِنِّي يُنَاقِشُهُ فِيمَا حَدَثَ.
لَمْ يَمُضْ عَلَيْهِ وَقْتُ طَوِيلٍ، حَتَّى تَحَقَّقَ مَا كَانَ يَظُنُّهُ.
«فَطِينُ» أَقْبَلَ عَلَى وَلَدِهِ، وَجَعَلَ يُرَبِّتُ كِتْفَهُ، قَائِلًا لَهُ: «أَرَأَيْتَ كَيْفَ كَانَتْ نَتِيجَةُ:
سَهْوِكَ، وَنِسْيَانِكَ، وَقِلَّةِ مُبَالَاتِكَ؟!
لَعَلَّكَ، يَا بَنِيَّ، تَعْتَبِرُ فِي مُسْتَقْبَلِكَ، بِمَا حَدَثَ الْيَوْمَ لَكَ!»
«بُهْلُولُ» قَالَ لِوَالِدِهِ: «أَقْدَمُ مَعْدِرَتِي، لَكَ وَلِوَالِدَتِي.
سَأُعْطِي لِلطَّرْقِ دَائِمًا: كُلَّ انْتِبَاهِي، كُلَّ نَظْرِي، كُلَّ تَفَكُّيرِي!»
«فَطِينُ» حَزَنَ لِمَا أَصَابَ وَلَدَهُ، وَغَبَرَ عَنْ حُنُوهِ عَلَيْهِ، قَائِلًا: «أَكْتُبْ مَا حَدَثَ لَكَ، عَلَى
أَنَّهُ حِكَايَةٌ مِنَ الْحِكَايَاتِ.
سَتَكُونُ هَذِهِ الْحِكَايَةُ تَذَكُّرَةً لَكَ، وَمَوْعِظَةً لِغَيْرِكَ!»

هوامش

- (١) حَلَّ: جَاءَ.
- (٢) الصَّقِيعُ: شِدَّةُ الْبُرْدِ.
- (٣) الطَّلُقُ: الضَّاحِكُ.
- (٤) تَشْدُو: تُغَرِّدُ.
- (٥) أَنْفَسُ شَيْءٍ: أَعْلَى شَيْءٍ.
- (٦) أَيَّ إِنِ الْوَقْتُ وَهُوَ الْحَيَاةُ: إِذَا مَرَّ، فَلَا يَعُودُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الفصل الثاني

«سَمِيرَةٌ» وَالْعَنْبُ

عَجِيبَةٌ مِنَ الْعَجَبِ	قِصَّةٌ عُنُقُودِ الْعَنْبِ
وَتُحْفَةٌ مِنَ التُّحَفِ ^١	وَطَرْفَةٌ مِنَ الطَّرَفِ
شَائِقَةٌ لَطِيفَةٌ ^٢	نَادِرَةٌ ظَرِيفَةٌ
هَمٌّ بِفِعْلِ شَائِنِ ^٣	تَرْدَعُ كُلَّ خَائِنِ
لِعَاقِلٍ إِذَا اعْتَبَرَ	وَكُلُّ مَا فِيهَا عِبَرُ
هَدِيَّةٌ إِلَيْكُمْ	أَقْصَاهَا عَلَيْكُمْ
يَحْفَظُهُ الْأَطْفَالُ	فَإِنَّهَا مِثَالُ

* * *

وَاجِمَةٌ حَسِيرَةٌ ^٤	قَدْ أَقْبَلَتْ «سَمِيرَةٌ»
نُمَّ اعْتَلَتْ كُرْسِيَّاهُ	وَفَكَّرَتْ مَلِيًّا
مَا اسْتَأْذَنْتَ فِيهِ أَبَا ^٥	وَهِيَ تَرُومُ الْعَنْبَا
مِنْ غَيْرِ إِذْنِ أُمِّهَا ^٦	وَأَنْدَفَعَتْ فِي جُرْمِهَا

* * *

وَاضْطَرَبَتْ، فَأَخْجَمَتْ ^٨	وَصَمَّمَتْ، فَأَقْدَمَتْ
مَذْعُورَةٌ حَزِينَةٌ ^٩	وَصَارَتْ الْمُسْكِينَةُ
مُرْعَشَةَ الْيَدَيْنِ	حَائِرَةَ الْعَيْنَيْنِ
جَمْرًا تَلْطَى لَهَبُهُ ^{١٠}	تَرْمُقُهُ فَتَحْسِبُهُ

فَهِيَ تَخَافُ مَسَّهُ وَلَا تُطِيقُ لَمَسَهُ

لِلْبَبْغَاءِ نَاطِرَةٌ	ثُمَّ تَعُودُ حَائِرَةٌ
لِتَأْمَنَ الْفَضِيحَةَ	تَسْأَلُهَا النَّصِيحَةَ
«أَسَاتِ، يَا حَمَقَاءُ!» ^{١١}	فَقَالَتِ الْبَبْغَاءُ:
وَصَيَّحَتْ مُرْوَعَةً ^{١٢}	وَهَتَفَتْ مُفْرَعَةً
النَّاصِحِ الْأَمِينِ	فِي لَهْجَةِ الْحَزِينِ
«ضَلَّتْ بِكَ السَّبِيلُ» ^{١٣}	وَأَسْتَأْنَفَتْ تَقُولُ:
إِنْ قِيلَ عَنْكَ لَصَّةٌ!	يَا سُوءَهَا مِنْ قِصَّةٍ
سَارِقَةُ الْعُنُقُودِ	خَائِنَةُ الْعُهُودِ
تُذَاعُ، يَا «سَمِيرَةَ»!	يَا قُبْحَهَا مِنْ سِيرَةٍ
وَتُزْعَجُ الْأَصْحَابُ» ^{١٤}	تَكْدُرُ الْأَتْرَابُ
وَيَلْعَنُونَ فِعْلَكَ» ^{١٥}	فَيَحْقِرُونَ أَضْلَكَ
تَائِبَةً مِنْ جُرْمِكَ	فَسَارِعِي لِأَمِّكَ
وَالْتَمِسِي الْغُفْرَانَ» ^{١٦}	وَرَاقِبِي الدِّيَانَ
حَبَّاتِ هَذَا الْعَنْبِ	وَحَازِرِي أَنْ تَقْرِبِي
تَشِينُ، كُلَّ حُرَّةٍ» ^{١٧}	فَإِنَّهَا مَعَرَّةٌ

فَعَلَّتْهَا الْكَبِيرَةُ	فَأَذْرَكْتَ «سَمِيرَةَ»
مُقِرَّةً بِجُرْمِهَا» ^{١٨}	وَأَسْرَعْتَ لِأُمِّهَا
وَأَسْتَغْفَرْتَ أَبَاهَا	وَالْتَمَسْتَ رِضَاهَا
فَقَبَّلَتْ يَدَيْهِمَا	وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمَا
وَلَمْ تَعُدْ لِمِثْلِهَا» ^{١٩}	وَاعْتَذَرْتَ لِأَهْلِهَا

هوامش

- (١) طُرْفَةٌ: غَرِيْبَةٌ ... تُحَفَّةٌ: شَيْءٌ نَادِرٌ.
- (٢) شَائِقَةٌ: شَيِّقَةٌ.
- (٣) تَرَدُّعٌ: تَزَجُّرٌ. بِفِعْلِ شَائِنٍ: بِفِعْلِ قَبِيحٍ.
- (٤) وَاجِمَةٌ حَسِيرَةٌ: حَزِينَةٌ حَاسِرَةٌ.
- (٥) مَلِيًّا: قَلِيلًا ... اِغْتَلَتْ: رَكِبَتْ.
- (٦) تَرُومٌ: تَقْصِدُ ...
- (٧) الْجُرْمُ: الْفِعْلُ الْقَبِيحُ.
- (٨) أَحْجَمْتُ: اِمْتَنَعْتُ ...
- (٩) مَدْعُورَةٌ: خَائِفَةٌ.
- (١٠) تَرْمُقُهُ: تَلْحَظُهُ ... تَلْظَى: اِشْتَعَلَ.
- (١١) حَمَقَاءٌ: جَاهِلَةٌ.
- (١٢) مُفَرَّعَةٌ، مُرَوَّعَةٌ: خَائِفَةٌ.
- (١٣) ضَلَّتْ بِكَ السَّبِيلُ: حَادَتْ بِكَ الطَّرِيقُ.
- (١٤) تَكْدُرُ الْأَتْرَابَا: تُحْزِنُ الْأَصْدِقَاءَ، وَتُقْلِقُ الْأَصْحَابَ.
- (١٥) يَلْعَنُونَ فِعْلَكَ: لَا يَحْتَرِمُونَ أَصْلَكَ، وَيَسُبُّونَ فِعْلَكَ.
- (١٦) اِلْتَمِسِي الْغُفْرَانَ: أَيِ رَاقِبِي اللَّهَ — عَزَّ وَجَلَّ — وَاطْلُبِي مِنْهُ الصَّفْحَ وَالْغُفْرَانَ.
- (١٧) مَعَرَّةٌ: إِنَّ هَذَا الْفِعْلَ عَارٌ يَقْبُحُ بِهِ الْأَحْرَارُ.
- (١٨) مُقَرَّرَةٌ بِجُرْمِهَا: اِعْتَرَفَتْ سَمِيرَةٌ بِخَطِيئِهَا الْكَبِيرِ.
- (١٩) اِعْتَذَرْتُ: نَدِمْتُ عَلَى مَا فَعَلْتُ، وَقَرَّرْتُ عَدَمَ الْعُودَةِ لِمِثْلِهَا أَبَدًا.

